١٣

التّفَنُّنُ اللفظيُّ في القَصَصِ القرآنـيّ
دراسةٌ في تحليلِ الخطابِ

بحث تقدّم به

أ.م.د. يونس يحيى عبد الله

الجامعة العراقية / كلية التربية للبنات / قسم اللغة العربية

المقدمة

التمهيد : كشف لمصطلحات العنوان (التفنّن اللفظيّ القصص القرآنيّ. تحليل الخطاب، الإعجاز في التفنّن اللفظيّ في القصص)

المطلب الأول : سياق الخطاب في التفنّن اللفظيّ في المفردة .

أولا : من قصّة (عليه السلام)مع قومه .

ثانيًا : من قصّة بني إسرائيل مع موسى(عليه السلام).

المطلب الثاني : سياق الخطاب في التفنّن اللفظيّ في التركيب .

أولًا : من قصّة سجود الملائكة لآدم (عليه السلام).

ثانيًا : من قصّة مريم وبشارتها بالولد.

الخاتمة .

المصادر.

المستخلص:

القصص نمط من أنماط إعجاز القرآن ؛وذلك بأنّها قد تُفَنّنَ بألفاظها مراعاة للمخاطبين؛ لذا كان اختياري هذا العنوان :(التّفَنُنِ اللفظيّ في القَصَصِ القرآنيّ دراسة في تحليل الخطاب) قد قسمته إلى مقدمة ،ومطلبين كان المطلب الأول :سياق الخطاب في التفنّن اللفظيّ في المفردة .أولا : من قصّة لوط مع قومه ،ثانيًا: من قصّة بني إسرائيل. أما المطلب الثاني فعنوانه : سياق الخطاب في التفنّن اللفظيّ في التركيب .أولًا: من قصّة سجود الملائكة لآدم .ثانيًا :من قصّة مريم ،وبشارتها بالولد ،ثمّ الخاتمة والمصادر.

Extracted:

Quranic stories are one of the miraculous patterns because they may be mastered in their words in consideration of the addressees, so I chose this title :(Verbal art in Quranic stories - a study in discourse analysis (, and I divided it into an introduction and two requirements, the first requirement was the context of the discourse in the verbal art in the vocabulary.first: from the story of Lot with his people, second: from the story of the children of Israel. The second requirement is entitled: The context of the discourse in the verbal mastery in the composition.First: from the story of the prostration of the angels to Adam.Second: from the story of Mary and her good news of the child.then the conclusion and sources.

المقدمة

الحمد له ،وكفى والصلاة على النبيّ المصطفى ،وعلى آله ،وأصحابه أهل التقى، والوفا ،أما بعد:

فالقرآن الكريم معجز على مرّ العصور، معجز ببيانه ،وبنيانه ، ولا عجب من هذا فهو كلام الله ـ عزّ وجلّ ـ وقد أعجز بمحتواه وترتيبه ونسقه ، ومن هذا الاعجاز، القصص التي قيل عنها :إنّها ثلث القرآن ،ولا خلاف في أهمية القصّة في وجدان الأمم ،فبها يأنس المتلقي ،ويثبت على الحقّ قال تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ هود: ١٢٠ ،و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ يوسف: ٣ ،و قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ ﴾ طه: ٩٩

وهذه القصص نمط من أنماط إعجازه وذلك بأنّها قد أتت بألفاظ متنوعة ،والواقعة واحدة ـ لا شكّ ـ ، ومجيؤها على هذا التفنّن يترك المتلقي في سؤال واحد لِمَ عجز العرب على أن يأتوا بمثل ما جاء به القرآن، على الرغم من أنّه نوّع ألفاظه في إيراد القصّة ؟ وهذا التنوّع يتيح لهم ـ بالضرورة ـ استعمال ألفاظ أخرى لم يستعملها القرآن ، لكنهم عجزوا أمام هذه البلاغة المتناهية ،ومع هذا استعمل القرآن الضدّ، وهو ترك التفنّن اللفظيّ ،إذ أورد لنا قصصًا بلفظ واحد لمرة واحدة ،وهنا السؤال لِمَ لمْ يُجرّب العرب مجاراته؟ ويخوضوا في تفنّن لم يستعمله ، وقد عجزوا من هذا الوجه أيضًا ؛ لذا كان اختياري هذا العنوان :(التفنّن اللفظيّ في القَصَص القرآنيّ دراسة في تحليل الخطاب) بعد تدبّر في نوع القصص القرآنيّ، وأسباب تنوّع ايراده، على الرغم من أنّ الحدث واحد ، وقد قسمته إلى مقدمة ومطلبين كان المطلب الأول سياق الخطاب في التفنّن اللفظيّ في المفردة . أولا : من قصّة لوط (عليه السلام) مع قومه ،ثانيًا : من قصّة بني إسرائيل .أما المطلب الثاني فعنوانه : سياق الخطاب في التفنّن اللفظيّ في التركيب .أولًا : من قصّة سجود الملائكة لآدم(عليه السلام) .ثانيًا : من قصّة مريم ،وبشارتها بالولد ،ثمّ الخاتمة التي تضمّنت أهم النتائج التي توصلتُ إليها .

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمين

الباحث

التمهيد : كشف لمصطلحات العنوان (التفنّن اللفظيّ ، القصص القرآنيّ ، تحليل الخطاب الإعجاز في التفنّن اللفظيّ في القصص)

أولا : التفنّن اللفظيّ .

هو مصطلح تراثيّ اشترك مع الالتفات والافتنان في المضمون واللفظ ،وقد وَهِمَ مَن قال : بأنّه غير وارد في لفظه أو معناه في التراث العربي،[١]وقد جمعَ الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) بين الافتنان والالتفات في سياق حديثه عن الالتفات فقال:" تلك من عادة افتنانِهِم في الكلام وتصرفِهِم فيه ؛ولأنَّ الكلامَ إذا انتقل من أُسلوبٍ إلى أُسلوبٍ كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع ،وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائِهِ على أُسلوبٍ واحد".[٢]

والتَفَنُّنُ في نظرِ البلاغيين قريبُ الصلةِ بأسلوب الالتفات, إذ الالتفات هو العدول من أسلوب إلى آخر مخالف له في الكلام , وهو ما عُرف بين أهل اللّغة بشجاعة العربية ؛ لأنَّ الشجاعةَ تقتضي الإقدام والرجل الشجاع يَرِدُ ما كان صعباً [٣] .

وقد عدّه ابن كمال باشا (ت ٩٤٠ هـ) قسمًا من الالتفات ،أو فائدة منه إذ قال: " الفائدة العامة في مطلق الالتفات وجهان يرجع أحدهما إلى المتكلم، وهو قصد التفنّن في الكلام والتصرف فيه بوجوه مختلفة من غير اعتبار لجانب السامع. وثانيهما: إلى السامع، وهو حسن تنشيطه ،ولطف إيقاظه"[٤]

وهناك مصطلح قريب منه في اللّفظِ لا المفهوم يسميه البلاغيون:(الافتنان)،وهو عندهم من المحسنات البديعية , ويعني الإتيان في الكلامِ الواحدِ بفنَّينِ ،أو أكثر, مختلِفَينِ من فنونِ القولِ, كالمدحِ والهجاءِ مثلاً ، وقد اطلق عليه الدسوقي التفنّن فقال:"التفنّن أي: ارتكابه فنين ،وطريقتينِ فى التعبير"[٥]. ويرد التفنُّن في النصّ القرآنيّ الكريم بأنماط كثيرة تشمل كلّ البناء العربي، فيرد في الحروف، وفي الكلمات سواء كانت أسماء أم أفعلا ، وقد يأتي بالجمل ،وأشباه الجمل .

وفوائد التفنّن اللفظيّ هي فوائد الالتفات ،والفوائد العامّة لأنواع الالتفات "هي: حسن التطرئة لأسلوب الكلام، تنشيطاً للسامع، فإنّ الطبع قد يملّ من أسلوب معين، فإذا خرج عنه الكلام تتجدّد له الرغبة إلى الإصغاء، ولطف الإيقاظ للسامع، وذلك أنّ الكلام إذا جرى على سَنَنٍ واحدٍ ربّما يذهل ؛ لكونه جرياً على العادة المعهودة، فيفوته المقصود، وزيادة التقرير للمعنى في ذهن السامع ،وذلك أنّ الكلام اللاحق إذا صرف عن أسلوب السابق تستغربه النّفس فتتنبه له، وتنبعث للنظر فيه وتدبّره ،فيشتد وقعه فيها" [٦].

ومن هنا جاءت فكرة ربط موضوع البحث بالدرس اللساني متمثلًا بالخطاب ونظريته التي من أهم مفاصلها النظرية السياقية ،ومراعاة المخاطبين في البناء الخطابي الذي يتجسد بالبناء اللغوي المكتوب ،أو المنطوق [٧].

ثانيا: القصص القرآنيّ :

القصّة: هي الأمر والخبر، وقصصت الحديث: رويته على وجهه ، قال تعالى :﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ ٣﴾: أي : نبين لك أحسن البيان ،والقصص بالكسر: اسم جمع القصّة [٨] .

القصّة فنٌّ أدبي عالميّ قديم جداً، وقد وُجد عند معظم الشعوب والأمم قبل الإسلام، عند حضارات الروم، والفرس، وقد احتوى القرآن الكريم قصص الأمم السابقة، بل إنّه خاطب العرب بطريقة قصصية ملائمة لميولهم ،وطبائعهم المعتمدة على حبّ استماعهم للقصص ،والأخبار التأريخية المختلفة في مجالس السمر ، ومن مظاهر اهتمام العرب بالقصّة حرصهم على ورواية أخبارهم المتعلقة بحروبهم والحوادث المهمة التي كانت تحدث بينهم. [٩]

عناصر العمل القصصيّ:

ينضج العمل القصصيّ حين تتوافر له عناصر تكوّن الحوادث ،والأفعال التي تقع لأناس ،أو تحدث منهم ،وهو عنصر الشخصية. وهذا الحدث لا بدّ أن يكون في ظرف مكاني وزماني، ثمّ الأسلوب الذي تسرد به الحادثة، التي تقع بين الشخصيات. والعنصر الأخير هو الفكرة ،أو وجهة النظر، فالقصّة تعرض وجهة نظر ما في الحياة وأحداثها. والعناصر السابقة أدوات تكشف بها القصّة طريقة المؤلف في النظر إلى الحدث ، والموقف منه[١٠].

ثالثا: تحليل الخطاب .

إنّ مصطلح تحليل الخطاب شائع الاستعمال في الدراسات اللسانية على اختلاف معالجاتها ،فهو يتداخل في فروع اللسانيات الاجتماعية ،واللسانيات الإحصائية ،واللسانيات النفسية[١١]،والخطاب هو التواصل اللغوي بوصفه تعاملا بين المتحدث ،والسامع أي : نشاط بين الأشخاص ،وهدفه الاجتماعي هو الذي يحدد شكله أمّا النّصّ: فهو التواصل اللغوي (سواء كان منطوقًا أم مكتوبًا) بوصفه رسالة فحسب ، تتخذ صورة شفرات محدّدة في صورتها المسموعة، أو المرئية [١٢] .

إنّ مجموعة النصوص هي التي تكوّن الخطاب ، وبيان ذلك في حديث ايستهوب الذي يقول فيه : "إنّ الخطاب إذن مصطلح يعيّن الطريقة التي تشكّل بها الجمل نسقا تتابعيّا ، وتشارك في كُلّ

متجانس ومتنوع على السواء ، وكما أنّ الجمل تترابط في الخطاب؛ لكي تصنع نصًّا مفردًا ، فإنّ النصوص ذاتها تترابط كذلك مع نصوص أخرى؛ لتصنع خطابًا أوسع نظاما"[١٣] .

وهناك تداخل بين مفهومي النصّ والخطاب[١٤]،يقول فان دايك:"ففي المجال اللغوي الفرنسي سُمّي علم النص(Science du Texte)وفي الإنجليزية سمي تحليل الخطاب(discourse analysis)"[١٥] ،فهو يرى أنّ الاختلاف فيه لا يتعدى التسمية ،ولاسيّما عند أصحاب الاتجاه اللغويّ المعروف بـ(تحليل الخطاب) ،إذ إنَّ تداخلًا كبيرًا وقع عندهم في تعريفات الخطاب مع ما يعرف بـ(النصّ) ، كذلك الآليّات المستعملة في تحليل الخطاب هي ذاتها مستعملة في تحليل النصوص ، وهناك من لا يرى فرقًا بين النّصّ والخطاب ،فهما متلاحمان ،فالنصّ عندهم يظلّ في كُلّ الأحوال متلاحمًا مع الخطاب ، وليس النصّ إلا خطابًا[١٦]. ويذهب بعض النقاد إلى تحديد مفهوم (النص) بالمظهر الكتابي في حين يخصص مفهوم (الخطاب) بالمظهر الشفوي[١٧].ومما يجدر التنبيه عليه أن من الضروري عند تحليل خطاب ما مراعاة السياق الذي يمثل ضرورة لتحليله[١٨] ، وعلى الرغم من تنوع السياقات الممكنة في القصص القرآنيّ ، فأنّ السياق اللغوي قد يكون الأبرز في تحليل التفنّن اللفظيّ الذي وقع في القصص القرآنيّ .

رابعًا : الإعجاز في التفنّن اللفظيّ في القصص[١٩].

القصص هي الأصعب في التحدي والاعجاز ؛إذ هي من المنثور غالبًا ، الذي قال عنه ابن الأثير(ت ٦٣٧ هـ) :" إنّ القرآن الكريم ورد نثراً، ولولا فضله وعلوّ درجته، لما نزل كتاب الله – عز وجلّ – على أسلوبه ونهجه، ... ولما كان النثر من الأقوال الشاقة، والأشياء المتصعبة، أنزل الله تعالى القرآن، الذي هو معجزة، على قانونه "[٢٠]والذي يبدو لي من التتبع للقصص القرآنيّ ،إنّ التفنّن يأتي مع قصص الأنبياء والرسل آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، وهذا هو الأبرز، وقد تكون العلة في ذلك أنّ[٢١]:

- هؤلاء الرسل والأنبياء هم الأكثر معاناة مع أقوامهم وأشد بلاء من غيرهم ، وبما أنّ القصّة هي الحدث المنقول إلينا ، فكُلّما اشتد البلاء ازداد الاعتبار من قصصهم .
- تفنن اللفظ في قصصهم هو لخصوصيتهم ، فآدم ابو البشرية الأول ، ولم يخلُ كتاب من كتب الأمم السالفة من قصته فالتفنّن فيها لهذه الأهمية . أما الأنبياء الباقون فهم أولو العزم من الرسل .
- التفنّن يأتي مصاحبًا لكثرة الأحداث والوقائع التي تعرّض لها النبي في أمته ، وكثرة مخالفتهم له مثل قصة موسى ، أو من غريب فعلهم وتفردهم بنوع من المعاصي مثل قوم لوط .

ووجه الإعجاز في هذا التفنّن إنّ القصّة قد وردت بأكثر من لفظ ،ومع هذا كان هذا اللفظ معجزًا للكفار في وروده في موضعه ، ثمّ هو معجز باللفظ الذي بُدِّل به ، وقد يكون المبدل كلمة أو جملة ، وقد يكون التفنّن بالتقديم والتأخير ليس إلا ، ولم يستطع العرب بفصاحتهم أن يأتوا بمثله[٢٢] .

المطلب الأول : سياق الخطاب في التفنّن اللفظيّ في المفردة .

أولا : من قصّة لوط مع قومه :

جاءت قصة لوط (عليه السلام) مع قومه في أكثر من موضع في القرآن الكريم ، وقد تُفنن في ألفاظ بعض أحداثها مراعاة للمخاطبين ، وعلى الرغم من أن لوطًا (عليه السلام) لم يكن من أولي العزم من الرسل إلا أن السبب في هذا التفنّن ـ فيما أرى ـ كان ما كابده (عليه السلام) مع قومه ،ولعلّ ما جاءوا به يستدعي هذا التفنّن ،فهم أولو المنكر الذي لم يسبقوا إليه ، فعرض قصصهم بهذا التفنّن لحاجة المتلقين على مرّ العصور ليتلقوه في صور مختلفة، وقد جاء التفنّن في حدث من أحداث القصة في قوله تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ سورة الأعراف:٨٠ – ٨٤

وقوله تعالى﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ سورة النمل: ٥٤ – ٥٨

جاء في النصّين الكريمين من سورتي الأعراف والنمل حدث مهم في قصّة لوط (عليه السلام) مع قومه ، وقد تضمنا تفننا لفظيًا للمفردة[٢٣] القرآنيّة المستعملة ،وهي مبينة في الجدول الآتي :

ت	اللفظة الأولى سورة الأعراف	اللفظة الثانية سورة النمل
١	إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ	أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ
٢	بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ	بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ
٣	وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ	فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ

٤	أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ	أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ
٥	كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ	قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ

فالكلام في التفنّن للفظة الأولى يأتي على وفق القراءات القرآنيّة التي جاءت بهمزة واحدة ،وهي همزة الحرف المشبه بالفعل (إنّ) في (إنّكم) فقد قرأ نافع والكسائي وحفص عن عاصم بهمزة واحدة [٢٤].

النظر في سياق الآية الكريمة يدلّنا على أنّ الهمزة تأتي تفرقة بين أن تكون جملة (إنّكم لتأتون الرجالة شهوة) خبر بلا همزة استفهام ، وهذا الخبر هو تأكيد لما خرجت إليه همزة الاستفهام من معنى مجازي يراد به الإنكار على قوم لوط ،وفعلهم الشنيع ،في قوله تعالى: (وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ) فإنّما " الحجة لمن قرأه بالإخبار: أنّه اجترأ بالأول من الثاني، ودليله قوله: (أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ)سورة الأنبياء: ٣٤" [٢٥] أما مجيء الهمزة مكرّرة في سورة النمل في هذا الموضع مع ما سبقه في السياق : فيقع عليه قول الرازي (ت ٦٠٦ هـ) " وكُلّ واحد من الاستفهامين جملة مستقلة لا تحتاج في تمامها إلى شيء"[٢٦].

والذي يبدو لي من سياق الآيات في سورة الأعراف أنّه لم يكرر الهمزة في موضع (إنّكم لتأتون) وجعلها إخبارا ، لوجود قرينة سياقية اقتضت هذا التفنّن ففي سورة الأعرف قيد هو قوله تعالى: (وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾) جاء بجملة (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) فاصلة للآية قبل التفنّن اللفظيّ في ترك الهمزة ، وكانت سببًا له ؛وذلك لأنّ هذه الجملة حال من المفعول به (الفاحشة) [٢٧] ثمّ القرينة السياقية اللاحقة لهذا التفنّن من قوله في فاصلة الآية التي جاءت بعدها: (بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿٨١﴾)،والإسراف منهم في نوع هذه الفاحشة وإنّ "وصفهم بالإسراف بطريق الجملة الاسمية الدالة على الثبات، أي أنتم قوم تمكن منهم الإسراف في الشهوات؛ فلذلك اشتهوا شهوة غريبة لما سئموا الشهوات المعتادة"[٢٨]، وقد اقتضى عدم تكرار الهمزة في (إنّكم) مناسبة للسياق الذي جاء الكلام فيه على مفعول به، حتى لا يثار انتباه المتلقي نحو المُخْبر عنهم في أول القصّة(وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ).

أما في سورة النمل فقد جاء الحال في الآية الأولى: (وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴿٥٤﴾) من فاعل الفعل (تأتون) [٢٩] هذا في سياق النص القرآنيّ السابق للتفنن ،أمّا ما لحقه ففيه إخبار بالفعل (تجهلون)

في قوله تعالى : (بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ)،فمع دلالة الفعل على تجدُّد هذا الجهل ، فالجهل صفة ألصق بالفاعلين[٣٠] . والسياق جاء متتابعا في الكلام على الفاعلين ؛لذا تفنن في تكرار الهمزة في : (إئنكم) تأكيدا للإنكار عليهم .

أما التفنّن في الموضع الثاني بين قوله تعالى : (بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ) من سورة الأعراف ، وقوله تعالى : (بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ) من سورة النمل ، الاسم (مسرفون) جاء موافقة لرؤوس الآيات التي سبقت، وهي : (جاثمين، المرسلين، مؤمنين، مفسدين) ، وكذلك لفظة (تجهلون) في سورة النمل وافقت الآيات التي تقدمت، وهي أفعال (تبصرون، تتقون، تعلمون) ، وهذا التفنّن جاء لمناسبة السياق في الموضعين من السورتين المباركتين [٣١].

وقد يكون السياق العام للسورتين هو المحدِّد لهذا الإختيار في التفنّن ، ففي سورة الأعراف : " لما كان مقصود هذه السورة الإنذار كان الأليق به الإسراف الذي هو غاية الجهل المذكور في سورة النمل فقال : (مسرفون) أي : لم يحملكم على ذلك ضرورة لشهوة تدعونها، بل اعتياد المجاوزة للحدود "[٣٢].

جاء التفنّن بين حرفي العطف الواو والفاء في النصيّن في السورتين الكريمتين من قوله تعالى : (وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ) وقوله تعالى : (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ) فالواو حرف عطف جاء في سورة الأعراف ، وفي النمل جاء بالفاء التي تفيد عطف الترتيب والتعقيب وهو ما اقتضاه من سياق ورود الأفعال فالتعقيب يكون مع الفعل وه ما ورد في سورة النمل فقبل العطف بالفاء في ها (تجهلون) أما في سورة الأعرف ففيها اسم قبل العطف بالواو (مسرفون) [٣٣]

والتفنّن في سورة الأعرف : (أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ) وفي النمل : (أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ) في سورة الأعرف جاء بالضمير عن آل لوط وفي سورة النمل صرّح بهم ؛ وذلك لأنّ سورة النمل قبل سورة الأعرف في النزول ،فجاء مصرّح بهم ،وكنى عنهم في سورة الأعرف ،وهذا من السياق الزماني الذي يمكن توظيفه في هذا الموضوع فعلى الرغم من ترتيب المصف الذي قدم الأعرف على النمل إلا السياق قدّم النمل موافقة لسبب ترتيب نزولها [٣٤].

والتفنّن الذي وقع في ما حدث لامرأة لوط جاء في سورة الأعراف : (كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ). أمّا في سورة النمل فهي : (قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ)، " وفعل (كانت) مستعمل في معنى تكون، فعبر بصيغة الماضي تشبيها للفعل المحقَّق وقوعه بالفعل الذي مضى مثل قوله : (أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ) سورة النحل: ١ ، ويجوز أن يكون مرادًا به الكون في علم الله وتقديره، كما في آية النمل :(٥٧) قدرناها من الغابرين فتكون صيغة الماضي حقيقة. "[٣٥] وبين الفعلين (كان) و(قدر) مناسبة ،والرابط بينهما الفاصلة المشتركة بين الآيتين (الغابرين) ؛" ذلك لأنّ الغابر لفظ مشترك في الماضي، وفي الباقي

يقال فيما غبر من الزمان أي: فيما مضى ،ويقال الفعل ماض وغابر أي باق "[٣٦] فدلالة (كان) على الزمن الماضي ، أنّ امرأة لوط في علم الله هي مهلكة ، وفي (قدرناها) تصريح بهذا المعنى[٣٧] .

لكن التفنّن في استعمال (كان) في سورة الأعراف جاء مناسبا لما جاء في سياقها ، فقد جاء فيها ذكر نوح مع قومه قبل قصّة لوط مع قومه؛ لكنه لم يذكر شيئا عن مصير امرأة نوح في الآيات (٥٩- ٦٤) ،فقال (كانت من الغابرين) كأنّها لم تسبق إلى فعلها، أمّا في سورة النمل (قدرناها) فقد سبقت بذكر قصّة نبي الله سليمان مع ملكة سبأ ،وهي امرأة انتهى بها المطاف إلى الإسلام على الرغم من أنّها لم تكن في زمن كفرها زوجة لنبي ، في حين كانت امرأة لوط زوجة لنبي ، فجاءت لفظة قدرناها ، إحالة إلى قدر الله في حالها .

ولعلّ تقدّم سورة النمل في النزول ناسب ذكر (قدرناها) فأمرها واقع في قدر الله تعالى ، وحسن ذكر القصة في سورة الأعراف ذكر (كانت) فأحال إلى القدر الماضي بعلمه سبحانه ، والله أعلم .

٢ : من قصّة بني إسرائيل

جاء في سياق الخطاب القرآنيّ لقصّة عن موسى (عليه السلام) وبني اسرائيل، وذلك في مشاهد من القصص المتنوعة في حياة نبي الله موسى (عليه السلام) مع بني إسرائيل، وقد وقع التفنّن في الألفاظ الواردة في هذه القصّة في موضعين من القرآن الكريم ، جاء الموضع الأول في سورة البقرة في قوله تعالى :﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ البقرة: ٥٧ – ٥٩

والموضع الآخر في سورة الأعراف : من قوله تعالى :﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟

حِطَّةٌ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٦٠ – ١٦٢

ولو تأملنا النصين الكريمين لوجنا تفننا لفظيًا واضح المعالم في مفرداتهما[٣٨] ،حتى أنّ ما في سورة الأعراف اختصار لما في سورة البقرة [٣٩]،ولعلّ القائمة التالية ستحدد بوضوح ما تفنّن فيهما :

ت	اللفظة الأولى سورة البقرة	اللفظة الثانية سورة الأعراف
١	وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ	وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ
٢	وَإِذۡ قُلۡنَا	وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ
٣	ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ	ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ
٤	فَكُلُواْ مِنۡهَا	وَكُلُواْ مِنۡهَا
٥	نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ	نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰتِكُمۡۚ
٦	فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا	فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزٗا
٧	بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ	بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ

والحقيقة إنّ وراء هذا التفنّن اللفظيّ قصدًا يكشفه السياق الذي جاء به هذا النوع من الخطاب القرآنيّ ، والمتأمل للسياق الذي جاءت به الألفاظ المتفنن بها لوجد في اللفظة الأولى: (عليكم) و(عليهم) ؛وذلك أنّ الضمير المجرور بحرف الجر:(على) في سورة البقرة جاء للمخاطبين، أمّا في سورة الأعراف فجاء للغائبين .

ولو تتبعنا سياق الخطاب في سورة البقرة لوجدناه قد جعل المخاطبين بضمير الخطاب (الكاف) مع الميم الدالة على الجمع في الحوار المباشر بين موسى (عليه السلام) من أول الآية الرابعة والخمسين ،وهي قوله تعالى :﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ ﴾ سورة البقرة: ٥٤ ، وقد تواصل هذا الخطاب على هذا النحو .أمّا في سورة الأعراف ،فجرى السياق النّصّي لهذا الحدث في القصّة بذكر بني إسرائيل بضمائر الغائبين .

والذي يبدو لي _والله أعلم _ أنّ تقدّم سورة البقرة مناسب لذكر بني اسرائيل بصيغة المخاطبين المباشرين ، وتأخر سورة الأعراف ناسب مجيء الكلام على بني إسرائيل في سرد قصتهم بضمائر الغائبين ،فهو إحالة إلى ما في سورة البقرة ،وقد تقدّم أنّ ما في سورة الأعراف اختصار لما في سورة البقرة ،والإحالة إليها نوع من هذا الاختصار .

والتفنّن الذي جاء في هذه القصّة هو في قوله : (وَإِذْ قُلْنَا) في سورة البقرة ، وفي الأعراف : (وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ) وردّ ذلك سياق الخطاب القرآنيّ لأحداث هذه القصّة ،ففي سورة البقرة بنى الفعل للفاعل ،وهذا السياق في ترتيب الأحداث، فناسب أن يأتي بالفاعل مصرحًا به ؛لإزالة أي إبهام ،ورفع أي إشكال قد يعرض عن من القائل ؟ ، على خلاف ما في سورة الأعراف بنى الفعل (قيل) للمفعول ، تعظيمًا للفاعل،ولعلم المخاطب به فلا يرد إشاكل ،أو تساؤل عن من هو [٤٠]؟

وجاء التفنّن بالفعلين (ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ) و(ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ) لمناسبة السياق ففي البقرة أمر بالدخول وهذا هو أول الأمر أما ما يؤول إليه الأمر هو في سورة الأعراف فجاء أمر بالسكن ولا شك أنّ هذا الترتيب المنطقي فالدخول أولا ثمّ يأتي من بعده السكن [٤١]

وقد يكون هذا التفنّن لمراعاة المتلقي وعلل به الطاهر بن عاشور لورودهما فقال :" لأنّ القولين قيلا لهم ، أي قيل لهم : ادخلوا واسكنوها ففُرِّقَ ذلك على القصتين على عادة القرآن في تغيير أسلوب القصص استجدادا لنشاط السامع" [٤٢]

وقد جاء التفنّن في استعمال حروف العطف في (فَكُلُواْ مِنۡهَا) و(وَكُلُواْ مِنۡهَا) فعطف (كلوا) على (ادخلوا) بحرف العطف (الفاء) لما كان وجود الدخول شرطًا للأكل منها ، فهو متعلق بدخولها فكأنّه شرط وجزاء، فالدخول موصل إلى الأكل، والأكل متعلق وجوده بوجوده الدخول ،فكُلّ جملتين يقع بينهما هذا التلازم لا بد من العطف بالفاء دون غيرها ،في حين عطف (كلوا) على قوله:(اسكنوا) بالواو دون الفاء ؛لأنّ اسكنوا من السكنى وهي المقام مع طول اللبث ،والأكل لا يختص وجوده بوجوده ؛لأنّ من دخل بستانا قد يأكل منه، وإن كان مجتازًا، فلمّا لم يتعلق الثاني بالأول تعلق الجزاء بالشرط وجب العطف بالواو دون الفاء[٤٣].

أمّا التفنّن الذي جاء في لفظتي :(نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ) و(نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰتِكُمۡۚ)،ففي البقرة: نغفر لكم خطاياكم وفي الأعراف: نغفر لكم خطيئاتكم،الجواب عنه :أنّ الخطايا جمع الكثرة والخطيئات جمع للقلّة، وفي سورة البقرة لما أضاف ذلك القول إلى نفسه ،فقال:(وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية) قرن به ما يليق بجوده وكرمه ،وهو غفران الذنوب الكثيرة، فذكرها بلفظ الجمع الدال على الكثرة، وفي الأعراف لما لم يضف ذلك إلى نفسه بل قال: (وإذ قيل لهم) ذكر ذلك بجمع أفاد القلّة. [٤٤]

وفي اللفظة السادسة : (فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا) في سورة البقرة ، وفي سورة الأعراف : (فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزٗا) ، جاء التفنّن لمعنى بياني " وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح أمرهم وإيذان بأنّ إنزال الرجز عليهم لظلمهم. وقد جاء في سورة الأعراف: (فأرسلنا عليهم) على

الإضمار"[٤٥]، وهذا مناسب للاختصار في سورة الأعراف ، ويمكن أن يكون قوله: فأرسلنا ؛فلأنّ الإنزال لا يشعر بالكثرة، والإرسال يشعر بها، فكأنّه تعالى بدأ بإنزال العذاب القليل، ثمّ جعله كثيرًا[٤٦].

وقد ختم هذه الآيات التي سردت هذا الحدث القصصيّ بتفنُّن جعله جزاءً لما قدموه ، فقال في سورة البقرة : (بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ) ،وفي سورة الأعراف : (بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ) .

وسياق الآيات في سورة البقرة بين أنّ هؤلاء المخاطبين هم ظالمون ، بدليل التصريح في قوله : (فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا) ،وهذه المناسبة جعلت ذكر الظلم الذي هو أصل المخاطبين في سورة الأعراف دون ذكر الفسق ،" إنّه تعالى لما بين في سورة البقرة كون ذلك الظلم فسقًا اكتفى بلفظ الظلم في سورة الأعراف لأجل ما تقدم من البيان في سورة البقرة "[٤٧].

المطلب الثاني : سياق الخطاب في التفنّن اللفظيّ في التركيب.

سيجري الكلام في هذا المطلب على ما تفنّن فيه تركيبيًّا في بعض القصص القرآنيّ ، وقد عرضت فيه ما يأتي :

أولًا : قصّة امتناع إبليس من السجود لآدم :

قصّة خلق آدم (عليه السلام) وأمر الله جل جلاله الملائكة بالسجود له ، وامتناع إبليس من هذا السجود ، قد تفنّن في تراكيب ألفاظها ، فقد جاءت الآيات الكريمات[٤٨] في سورة البقرة وسورة الأعراف ، وسورة الحجر ،وسورة الإسراء وسورة الكهف وسورة طه ،وهنّ على الترتيب قوله تعالى :﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤ ﴾ سورة البقرة: ٣٤ ، وقوله تعالى :﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ٦١ ﴾ سورة الإسراء: ٦١ ،وقوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ٥٠ ﴾ سورة الكهف: ٥٠ ،وقوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ١١٦ ﴾ سورة طه: ١١٦

ففيهُنَّ تشابه لفظي متطابق قبل بيان ما استثني به إبليس وعلة امتناعه، وهو قوله : (وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ) .

فجاء الامتناع وسببه بتراكيب متنوعة متفنن باختيارها لغاية بلاغية ناسبت سياق الآيات الواردة، فيها بكُلّ سورة من هذه السور، ففي سورة البقرة قال تعالى: (إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ) ، وسياقها إنّه أتى بلفظة (أبى) لامتناعه بإرادته عن السجود[٤٩]، و(استكبر)، و(كان من الكافرين) " والظاهر إنّ قوله: وكان من الكافرين أريد به كفره ذلك الوقت، وإنّ لم يكن قبله كافرًا وعطف على استكبر، فقوي ذلك؛ لأنّ الاستكبار عن السجود إنّما حصل له وقت الأمر. ويحتمل أن يكون إخبارًا منه بسبق كفره في الأزمنة الماضية في علم الله "[٥٠]، فقد أبى بقلبه وأستكبر بفعله ، وكان من الكافرين في سابق علم الله ، [٥١] وقد تقديم الإباء وهو نتيجة على الاستكبار الذي هو مسبب له ؛لظهور الإباء ووضوح صاحبه ،فناسب هذا الظهور هذا التقديم [٥٢] .

وفي الجمع بين هذه الأفعال غاية تجسد حال إبليس في الامتناع ،فالجمل الفعلية المذكورة هي أحوال له صار فيها : آبيًا مستكبرًا كافرًا [٥٣].

وقد جاء سياق ما تُفنُّن به في هذه السور متسلسلة مناسبًا للأحوال التي مرّ بها الأمر إلى الرفض ؛لأنّ ما ذكر من هذه الخلال في سورة البقرة جملة ثمّ جاء ذكرها في السور الأخرى مفصلًا [٥٤] ودليله في سورة الإسراء كان امتناعه ردّ القول بالقول : (قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينًا) ، فلم يصرّح بأنّه أبى ،أو استكبر ، لكن التراكيب التي جاءت في وصف حاله دلالتها على الاستكبار ، فقد اعترض إبليس بالاستفهام الإنكاري على أمره بالسجود لآدم [٥٥] ، واستنكاره لما يطُلب منه دليل على استكباره .

والتفنّن في العبارة قد أفاد إسناد أقبح أوصاف الذم إلى إبليس ، وسورة الإسراء نزلت بمكة؛ لأنّ هذه وحال القوم في مكة الإعراض والصدود والجدل للدعوة الإسلامية ،فجاءت عناصر القصّة المذكورة بما فيها من قوة وعنف في الرد على إبليس ،وتوعده بالعذاب هو ومن اتبعه مناسبة لحالة الكفار من قريش ،وإن رفض الحجة التي بنى عليها اللعين اعتذاره ،وإهدارها من الأساس شبيه برفض الإسلام لدعاوى ،وحجج الكفار من مشركي مكة. وإنّ اختلاف التراكيب اللغوية من موضع إلى آخر أمر لزمه المقام [٥٦]، وفيه مراعاة للمخاطبين اقتضاها السياق الزماني والمكاني والمقامي[٥٧] ، فهم في زمن جاهلية ،وفي مكّة مركز العبادة.

وما جاء في سورة الكهف من أنّه : (كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ) هي أسباب لامتناعه عن السجود والامتثال لأمر الله " كان من الجن كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء إبليس من الساجدين، كأنّ قائلا قال: ما له لم يسجد؟ فقيل: (كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ) والفاء

للتسبيب أيضًا، جعل كونه من الجن سببا في فسقه؛ لأنّه لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله "[٥٨] ،ومعنى ففسق عن أمر ربه خرج عن أمره [٥٩]،فمن خصائص التراكيب لمناسبة السياق لهذه القصّة ،واختيار هذه التراكيب أنّه نسبه إلى الجن، وحكم عليه بالفسق، وهذا لم يرِد إلا في آية سورة الكهف[٦٠]. وبالعودة إلى مناسبة الآيات إنّ التراكيب في هذا الموضع اختصّت بالامتناع ،ولم تذكر ما يدلّ على الاستكبار الذي ورد مجملًا في سورة البقرة .

ويمكن الجمع بين الفعلين في سورة البقرة وسورة الكهف؛إذ هو مشترك بينهما (كان) ففي سورة البقرة (كان من الكافرين) وفي سورة الكهف (كان من الجن) وقد تقدم أنّ كونه من الجن سبب للفسق ودليل على انقطاع الاستثناء بالأداة (إلا) ،فإبليس ليس من الملائكة ، ومناسبة (كان) إنّها " على أحد وجهين: إما لاعتبار وقت العصيان بوقت الاختبار، ويكون بالإضافة إليه ماضيا فيجب أن يقال: كان، وإما إنّه قال: (كان من الكافرين) تنبيها أنّ ما تقدم من طاعته غير معتد به، وأنّ حكمه من قبل حكم الكافرين، فمن شرط الطاعة أن لا تحبط ،ومن حكم الإيمان أن يمتد ويتصل"[٦١]

وقد أفرد الإباء في سورة طه ، قال تعالى : ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ﴾ ،وسبقت الإشارة إلى أنّ ما في سورة البقرة هو أعمّ ما ورد في القرآن الكريم من وصف إبليس ،وحاله في الامتناع من السجود لآدم ، وما جاء في السور الأخرى إنّما هو بعض ذلك ، وهنا أفرد الإباء ؛لأنّه أظهره وتوقف عن التنفيذ وتثبط في الطاعة لأمر ربّه ،[٦٢]والذي ينظر إلى سياق سورة طه يجد أنّها قد تضمّنت من الصفات التي وصفت ربّ العزة بالعلوّ والكبرياء قال تعالى :﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ۝١١٤ ﴾ ،وهذا مانع من موانع إيراد استكبار إبليس على أمر الله ،فالمناسبة تقتضي ترك التصريح باستكباره لفظًا ،ولا مانع من تضمن لفظة الفعل (أبى) شيئًا من معنى الاستكبار.

ومن المناسبة اللفظيّة ورود لفظة (أبى) في السياق المتقدم على أحداث هذه القصّة ،وهي في قوله تعالى ﴿وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ۝٥٦ ﴾ ،وهي في حال فرعون ، فتناسب الورودان في السياق الواحد ، ويأتي هذا التناسب مراعاة للمخاطب من سياق النص المعجز الذي يأتي المتلقي له بدعوى أنّه أساطير الأوّلين[٦٣].

ثانيًا : من قصّة مريم وبشارتها بالولد:

قصّ القرآن الكريم علينا أخبار عيسى بن مريم وأمه الصديقة ، وقد تفنّن في ألفاظ بعض مواضعها وممّا تفنّن في تركيبه منها قد ورد في قوله تعالى :﴿ قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي

بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾ آل عمران: ٤٧ وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾﴾ مريم: ٢٠ – ٢١

جاءت سورة آل عمران بهذا الحدث من قصّة السيدة مريم مع الملائكة وتبشيرها بالولد ، بتركيب الآية التي ذكرت وقد تفنن في هذا التركيب حين جاء في سورة مريم ، فما نقل في آية واحدة في سورة آل عمران نقل بآيتين من سورة مريم بزيادة في التراكيب تستدعي من المخاطب مزيد عناية؛ للوقوف على سرّ هذا التفنّن، ولعلّ مراعاة المخاطبين جاءت ظاهرة في مكان نزول كُلّ سورة منهما : " قد تكررت قصّة ولادة يحيى وولادة عيسى مرتين ... الأولى في سورة(كهيعص) وهي مكية أنزلت خطابا لأهل مكة والثانية في سورة آل عمران،وهي مدنية أنزلت خطابًا لليهود،ولنصارى نجران حين قدموا ؛ولهذا اتّصل بها ذكر المحاجّة والمباهلة"[٦٤]، ففي سورة آل عمران ،وسورة مريم ابتدأت الحادثة (قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ) ،فهما متطابقتان تركيبا في السورتين[٦٥]، وقد جاء بعد هذه الجملة في سورة آل عمران : (قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ) أما في سورة مريم فقد أتمّ المقطع بـ (وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا) ،ثمّ جاء بقوله : (قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ) هو أول آية جديدة فيها ، أمّا في سورة آل عمران فأتمّ الآية بقوله : (إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ) ،وفي سورة مريم أكمل الآية الثانية بقوله: (وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا).

جاء التركيب (وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا) الذي ورد في سورة مريم تفنّنا في اللفظ لدلالة مقصودة ،فلم يذكر في سورة آل عمران ؛لأنّ في سورة مريم سياق يقتضي هذه الزيادة التركيبية ، منها :﴿ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ ﴾ ، و﴿ فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ ﴾ ، فنفت أن تكون بغيًّا ؛لأنّها كانت منعزلة في مكان خاص، والريبة تكون واردة حينئذ ، والمَلك المرسل حين تمثل لها بشرًا استدعى أن تذكر أنّها ليست بغيًّا ،فالبشر يقع منهم البغي، بينما لم ترد مثل هذه السياقات في سورة آل عمران ، فقد ذُكر في السياق المتقدم لهذا الحدث أنّها مصطفاة مطهرة : ﴿ وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ وولم يذكر العزلة لها ولم يفرد ملكًا واحدا بل جاء بلفظ الجمع (ملائكة)،وذلك في قوله : ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي

ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ ، فهي بعيدة عن الشبهة ،فلا ريب يلحق بها لتنفي البغاء عنها مع ما لسياق سورة آل عمران من خصائص منها التصريح بالبشارة بعيسى منسوبًا إلى مريم ، ويبدو لي أنّ سورة آل عمران التي هي مدنية جاءت فيها القصّة مراعاة للمخاطبين،فلم يذكر فيها البغاء ، فالمخاطبون هم من اليهود في المدينة ،ونصارى نجران ،وقد تقدم ذكرهم، وفيه مراعاة لقوة التأثير الاجتماعي والديني لفئة المخاطبين بحسب السياق الزمني الذي يقتضي مراعاة زمن نزول الآية أو السورة(٦٦).

أما التركيب الثاني الذي تفنّن فيه في سورة آل عمران ،فقوله تعالى : (قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ) و قابله في سورة مريم بقوله : (قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ) ، والذي نلحظه أنّ في الموضع الأول في سياق الآية الواحدة والذي بشر فيه الملك مريم فمع العدول من الجمع في (قالت الملائكة) إلى (قال) لفاعل مقدر بمفرد من سورة آل عمران ، جاء التركيب (يخلق ما يشاء) مناسبًا للسياق ،فمريم تعجبت من كيفية أن تلد ولم يمسسها رجل ، فجاء (يخلق ما يشاء) فلا عجب مع هذه المشيئة الإلهية(٦٧)"لأنّه لا يتعارف مثله، وهو وجود ولد من غير والد، فهو إيجاد واختراع من غير سبب عادي، فلذلك جاء بلفظ: يخلق، الدال على هذا المعنى" (٦٨).

ويكون هذا الاستفهام بـ(أنى) قد جاء : " للإنكار والتعجب ولذلك أجيب بجوابين: أحدهما: كذلك الله يخلق ما يشاء، فهو لرفع إنكارها، والثاني: إذا قضى أمرًا ... لرفع تعجبّها "(٦٩)

والإشارة بقوله: كذلك، يحتمل أن تكون إلى هذه القدرة التي تتضمنها البشارة بالكلمة، ويحتمل أن تكون إلى حال مريم وبكارتها(٧٠)، ولعلّ الوقف على قوله :(كذلك) فيه دلالة سياقية على أنّ ما بعدها تفسير لما قبلها ، وإن وصلت بما بعدها كانت بمعنى كذا يخلق ،أو كذا قال ربّك (٧١) ،وفيه مراعاة للمخاطب من جهة ما يتاح له من احتمالات مقبولة أتاحها الوقف ،والابتداء.

وهناك معنى وارد بين النصين تُفنّن في تركيبه ،هو إنّ بشارة مريم بعيسى من قضاء الله ، ففي سورة آل عمران : (إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ)،وفي سورة مريم (وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا) ، وبالنظر إلى سياق الآيتين نجد مناسبة الشرط والجزاء في سورة آل عمران (إذا قضى ... فإنّما)، فقد وقعت أحداث في هذه السورة مناسبة مجيء هذا الفعل (قضى) بجملته الفعلية الدالة على التنوع والتجدد(٧٢) ، فنجد في السورة من اصطفاء آدم، ونوح ،وآل إبراهيم ،وآل عمران ،وقصّة امرأة عمران وكيف حملت بمريم ،وكفالة زكريا لها، ودعاء زكريا، وبشارته بالغلام، ثمّ اصطفاء مريم ،وبشارتها ، كُلّها أحداث جرت بمقادير الله منها ما هو معجز، فناسب أن يأتي

بجواب الشرط بأداة القصر (إنّما) ؛ليقصر كُلّ ما يقوله في مثل هذه الأحداث أن تقع بالسرعة التي أفادتها جملة (كن فيكون) [٧٣].

أمّا في سورة مريم فقد جاءت الجملة المنسوخة بـ(كان)،وجاء القضاء (مَقضِيًّا) بصيغة مفعول ، بمعنى واقع وواجب ، و(كان) تدل على تحقّق ثبوت معنى خبرها لاسمها من الماضي [٧٤]فما بشرت به مريم واقع متحقق الوقوع ، ومناسبة ورود الجملة الاسمية الدالة على الثبات[٧٥] في هذه السورة لما ورد في سياقها ، فلم يرد التنوع في القصص فيها مثلما ورد في سورة آل عمران ، فقد ذكر زكريا وبشارته بيحيى ، وهي قصّة شابهت قصّة مريم وبشارتها في التراكيب ، فضلًا عن أنّ قصّة مريم وبشارتها جاءت بتفاصيل ليست واردة في سورة آل عمران ،وإفراد مريم بالذكر في قوله تعالى :﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ ﴾ فضلًا عن تفاصيل بشارتها بعيسى، فجاءت الجملة خاصة به (وكان أمرًا مقضيًا) أمر خلق عيسى بهذه الطريقة ، مع تنكير (أمر) لتعظيم هذا الخلق الذي جاء خارقا للعادة. [٧٦]

الخاتمة .

- يمكن وصف القصص القرآنيّ بأنّها نوعان نوع فيه تُفنّن مثل قصّة آدم ،ونوح ،وموسى (عليهم السلام) ،ونوع ليس فيه التفنّن مثل قصّة يونس ويوسف عليهم السلام ،وأصحاب الكهف ،وغيرهم .
- قصص أولي العزم من الرسل اتسمت بهذا التفنّن ؛لحكمة نقل الأحداث من أكثر من جهة ؛مراعاة للمخاطبين ، للعبرة ،والاتعاظ ، أو التحدي لهم ،وإعجازهم .
- قصّة آدم جرى فيه التفنّن ، لخصائص هذه القصّة ،ولا سيما إنّه أبو البشر الأول، فكُلّ الناس متعظون بها، ولا سيما أهل الديانات السماوية ،ومنهم المسلمون .
- جاء التفنن بقصة لوط (عليه السلام) مع قومه مع أنّه ليس من أولي العزم من الرسل ؛ وذلك لشناعة الجرم الذي ارتكبه قومه ،وأنهم لم يسبقوا إليه .
- جاء السياق ظاهرًا ليلزم ورود جملة (وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا) في سورة مريم؛ وذلك لورود العزلة في سياقها مما يثير الشبهة ، فاقتضى هذا الورود ، في حين لم ترد في سورة آل عمران وقد نزلت في المدينة مراعاة للمخاطبين ،وهم يهود المدينة ونصارى نجران واعتقادهم بمريم (عليها السلام).

التوصية :

البحث تعرض لقصتين في كُلّ مطلب منه اكتفاء بمتطلبات البحث ،والذي يمكنني التوصية به أنّ الموضوع يمكن أن يدرس ببحث خاصّ تعرض فيه كُلّ الألفاظ المتفنّن بها ،وذلك في القصص القرآنيّ ،وقد يتطلب هذا العمل أن تسجل به رسالة ماجستير .

المصادر والمراجع :

- **القرآن الكريم .**

١- آفاق التناصّيّة ، المفهوم والمنظور ، ترجمة : الدكتور محمّد خير البقاعيّ ، سلسلة دراسات أدبيّة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، د . ط ، ١٩٩٨م.

٢- الإتقان في علوم القرآن ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط/ ١ ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٣- الأدب وفنونه – دراسة ونقد، عز الدين إسماعيل (ت ١٤٢٨هـ) دار الفكر العربي.

٤- أساس البلاغة ، تأليف : أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) تحقيق : محمد نبيل طريفي ، دار صادر ، بيروت . لبنان ، ط/١ ، ٢٠٠٩ م .

٥- أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت نحو ٥٠٥ هـ)، المحقق: عبد القادر أحمد عطا (ت ١٤٠٣ هـ)، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض ، دار الفضيلة.

٦- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، ضبطه : محمد سعيد العريان ، مطبعة الاستقامة ، مصر ، ط/٤ ، ١٩٤٠ م.

٧- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب :أبو محمد عبد الله بن محمد بن السِّيد البَطَلْيَوسي (ت ٥٢١ هـ) المحقق: الأستاذ مصطفى السقا – الدكتور حامد عبد المجيد ،مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٩٩٦ م .

٨- البحر المحيط في التفسير ،أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، المحقق: صدقي محمد جميل ، دار الفكر – بيروت ط/ ١ ، ١٤٢٠ هـ.

٩- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ) المحقق: محمد علي النجار ،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة

١٠- بلاغة التكرار في الخطاب القرآنيّ (بحث)، د. طاهر عبد الرحمن قحطان ، مجلة فكر وإبداع، مصر ، ج / ٤٧ ، السنة ٢٠٠٨ م .

١١- البيان والتبيين : عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ) الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت ، ١٤٢٣ هـ .
١٢- التبيان في إعراب القرآن ،عليه أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت ٦١٦هـ) ، المحقق : علي محمد البجاوي ، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
١٣- التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ م .
١٤- تحليل الخطاب تأليف : ج . ب . براون وج . يول ، ترجمة وتعليق : الدكتور محمد لطفي الزليطي والدكتور منير التريكي ، النشر العلمي ، جامعة الملك سعود ، السعودية ، د . ط ، ١٩٩٧م .
١٥- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل : أبو حيان الأندلسي ، المحقق: د. حسن هنداوي ، دار القلم – دمشق (من ١ إلى ٥)، وباقي الأجزاء: دار كنوز إشبيليا – الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٨ – ١٤٣٤ هـ / ١٩٩٧ – ٢٠١٣ م.
١٦- التعبير القرآنيّ: د. فاضل السامرائي – دار عمار ، عمان – الأردن ، ط/٥ ،
١٧- تفسير الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ) الجزء الأول: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة ، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني ، كلية الآداب – جامعة طنطا ، ط/ ١ ، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.
١٨- تلوين الخطاب ،المؤلف: أحمد بن سليمان بن كمال باشا، شمس الدين (ت٩٤٠هـ) دراسة وتحقيق: عبد الخالق بن مساعد الزهراني، الناشر: الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، العدد(١١٣)،١٤٢١هـ.
١٩- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (ت ٦٣٧هـ) ، المحقق: مصطفى جواد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، عام النشر: ١٣٧٥هـ.
٢٠- الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، مع فوائد نحوية هامة، محمود صافي ، دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت ، ط/٣ ، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.
٢١- الجملة العربية تأليفها واقسامها، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، الأردن ، ط/ ٢، ٢٠٠٧م
٢٢- حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢ هـ) [ومختصر السعد هو شرح تلخيص مفتاح العلوم لجلال الدين القزويني] المؤلف: محمد بن عرفة الدسوقي المحقق: عبد الحميد هنداوي الناشر: المكتبة العصرية، بيروت

٢٣- الحجة في القراءات السبع ، الحسين بن أحمد بن خالويه ، أبو عبد الله (ت ٣٧٠ هـ) المحقق: د. عبد العال سالم مكرم الناشر: دار الشروق – بيروت ، ط/ ٤، ١٤٠١ هـ.
٢٤- خصائص التعبير القرآنيّ وسماته البلاغية (رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى) ، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (ت ١٤٢٩هـ) ، مكتبة وهبة ، ط/ ١ ، ١٩٩٢ م.
٢٥- روح البيان ، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ,المولى أبو الفداء(ت ١١٢٧هـ) ، دار الفكر – بيروت.
٢٦- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز , يحيى بن حمزة بن علي العلوي اليمني , ط ١ / ١٩٨٠ م , دار الكتب العلمية – بيروت.
٢٧- علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات ، تأليف : تون أ . فان دايك ، ترجمة : الدكتور سعيد حسن بحيري ، دار القاهرة ، مصر ، ط/٢ ، ٢٠٠٥ م
٢٨- غرائب التفسير وعجائب التأويل ، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت نحو ٥٠٥هـ) ، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت ، د.ط، د.ت .
٢٩- القصص القرآنيّ. رؤية فنية، د. فالح الربيعي ، الثقافية للنشر القاهرة– مصر، ط/ ١ ، ٢٠٠٢م .
٣٠- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التنزيل , جار الله محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨ هـ) تح : خليل مأمون شيحا , ظ ٣ / ٢٠٠٩ م , دار المعرفة – بيروت .
٣١- كشف المعانى في المتشابه من المثاني : أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (ت ٧٣٣هـ) ، تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف ، دار الوفاء المنصورة ، ط/١، ١٩٩٠ م .
٣٢- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللّغوية ، لأبي البقاء الكفوي (ت١٠٩٤هـ) حققه: الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت . لبنان ، ط/ ٢ ، ١٩٩٨م .
٣٣- لطائف الإشارات – تفسير القشيري ،عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)المحقق: إبراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر ، ط/ ٣ .
٣٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط/ ١ ، ١٤٢٢ هـ .

٣٥- المصطلحات الأدبية الحديثة ، دراسة ومعجم إنجليزي عربي ، الدكتور محمد عناني ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، الجيزة ، ط/ ٣ ، ٢٠١٢ م .
٣٦- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ) : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط/ ٣ ، ١٤٢٠ هـ.
٣٧- مقدّمة في نظريات الخطاب ، مكدونيل (ديان) ، ترجمة : الدكتور عز الدين إسماعيل ، المكتبة الأكاديميّة ، القاهرة ، ط/١ ، ٢٠٠١م.
٣٨- منهج السياق في فهم النص، د. عبد الرحمن بودرع ، كتاب الأمة ، الدوحة، العدد١١١، ١٤٢٧م.
٣٩- النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي، محمد عزّام، اتحاد الكتاب العرب، دمشق،٢٠٠١م .
٤٠- نظرية الخطاب مقاربة تأسيسية ، د. عبد الواسع الحميري ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت – لبنان ، ط/١ ، ٢٠١٥ م.
٤١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي (ت ٨٨٥هـ) ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة د. ط، د. ت.
٤٢- النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه) ، علي بن فَضَّال بن علي بن غالب المُجَاشِعِي القيرواني، أبو الحسن (ت ٤٧٩هـ) ، دراسة وتحقيق: د. عبد الله عبد القادر الطويل دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت ط/ ١ ، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م
٤٣- نقد التفنّن اللفظيّ عند الإمام الطاهر بن عاشور(ت ١٣٩٣ هـ) في تفسيره التحرير والتنوير : أطروحة دكتوراه في تكريت ، كلية التربية للعلوم الإنسانية : مهيمن علي خضير، إشراف :أ.د. محمد ياس خضر الدوري : ٢٠٢١م.

---

(١) يرى أحد الباحثين أن مصطلحَ التفنّن لا ذكر له بهذا اللّفظِ في مؤلفاتِ البلاغةِ واعجازِ القرآن ، ينظر:نقد التفنّن اللفظيّ عند الإمام الطاهر بن عاشور(ت ١٣٩٣هـ) في تفسيره التحرير والتنوير : أطروحة دكتوراه : مهيمن علي خضير: ٢٠٢١م : ١٩. والحقيقة أنه مصطلح مشهور قد استعمله رواد البلاغيين والنقاد واللغويين ، وقد لحظنا ذلك عند الجاحظ في : البيان والتبيين: ٢٦٤/٣: وابن السِّيد البطليوسي :الاقتضاب في شرح أدب الكتاب: ١٦٠/١، وابن الأثير في :الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور:٧٣،وأبي حيّان في : التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل:٧/ ٨٧ .

(٢) يُنظر : الكشاف: ٦٤ .

[٣] الطراز : ٢ / ١٣١ .

[٤] تلوين الخطاب : ٣٦٦.

[٥] حاشية الدسوقي على مختصر المعاني : ٦٠٧ .

[٦] تلوين الخطاب: ٣٦٥ .

[٧] ينظر: تحليل الخطاب : براون و ج يول : المقدمة : ٦، ٥٧، ٦١ ، نظرية الخطاب ، مقاربة تأسيسية : ٧١ –٧٢ ، وبلاغة التكرار في الخطاب القرآنيّ :١١٩.

[٨] يُنظر : الكليات : ٧٣٤ .

[٩] ينظر: الأدب وفنونه – دراسة ونقد : ١٠١ ، وما بعدها ، والقصص القرآنيّ. رؤية فنية : ١٩–١٥. ينظر: https://mawdoo3.com/%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D9%

[١٠] ينظر: الأدب وفنونه – دراسة ونقد : ١٠٣ .

[١١] ينظر: تحليل الخطاب : براون و ج يول : المقدمة : ط ، ي .

[١٢] ينظر: المصطلحات الأدبية الحديثة : (text and work) 116 .

[١٣] مقدّمة في نظريات الخطاب: ٣١ .

[١٤] ينظر : المصطلحات الأدبية الحديثة : (text and work) ١١٦ .

[١٥] علم النص مدخل متداخل الاختصاصات : ١٤ .

[١٦] ينظر: آفاق التناصّيّة ، المفهوم والمنظور : ٤٤ ، النص الغائب ، تجليات التناص في الشعر العربي : ١٥.

[١٧] ينظر: النص الغائب ، تجليات التناص في الشعر العربي : ١٥ .

[١٨] ينظر: نظرية الخطاب ، مقاربة تأسيسية : ٧٣ ، ٧٤ ، وبلاغة التكرار في الخطاب القرآنيّ :١١٨.

[١٩] النوع الثاني من القصص غير المتفنن بها ،وهي كثيرة الورود في القرآن الكريم ، مثل ، قصّة طالوت وجالوت في سورة البقرة ، سليمان والهدهد في سورة النمل ، وقصّة ذبح إبراهيم لابنه اسماعيل سورة الصافات ، قصّة السامري في سورة طه ،وقصة موسى والعبد الصالح ، وقصّة ذي القرنين في سورة الكهف ، وغيرها كثير. ينظر: كشف المعاني في متشابه المثاني : ١٠٢–١٠٣ ، و الإتقان في علوم القرآن : ٣/ ٢٣٢ .وإعجاز هذا النوع من القصص التي وردت مرة واحدة بألفاظ محددة ، أنّ العرب كان أمامهم خيار التعدد لو نظروا إلى القصص التي ورد التفنّن فيها ، غير أنّهم أعجزوا عن أن يأتوا بمثله في غير المتفنن بها ، فالإعجاز هنا أبلغ فقد فتح لهم الباب على مصراعيه ،وأتاح التفنّن في اللفظ مع بقاء المضمون الواحد المراد ،غير أنّهم عجزوا عن هذا كلّه .

[٢٠] الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ٧٣.

[٢١] ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ٣/ ٢٤٤ ، الإتقان في علوم القرآن : ٣/ ٢٣٠ – ٣٣٢ .

[٢٢] ينظر: الإتقان في علوم القرآن : ٣/ ٢٣١ ، و إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ٢٠٠ –٢٠١.

(٢٣) هذا فيما يتعلق بالمفردة وقد تضمنا تفننا لفظيًا تركيبيًّا مثل التركيب الذي ختمت به الآيتان: (٨٠) و (٨٤) من سورة الأعراف ، و الآيتان: (٥٤) و (٥٨) من سورة النمل .

(٢٤) ينظر: الحجة في القراءات السبع :١٥٨ ، والتحرير والتنوير: ٨/ ٢٣١.

(٢٥) الحجة في القراءات السبع :١٥٨.

(٢٦) ينظر: مفاتيح الغيب : ١٤/ ٣١٠.

(٢٧) ينظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه : : ٨/ ٤٦٥.

(٢٨) التحرير والتنوير : ٨/ ٢٣٢.

(٢٩) ينظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه : ١٠/ ١٨٦.

(٣٠) الكشاف : ١٤٣ ، والبحر المحيط : ١٠١/٥.

(٣١) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل : ٤١٤/١ ، والبحر المحيط : ١٠١/٥.

(٣٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٧/ ٤٥٥.

(٣٣) ينظر: أسرار التكرار في القرآن ،البرهان في توجيه متشابه القرآن: ١٢٥، وغرائب التفسير وعجائب التأويل: ٤١٤/١، وبصائر ذوي التمييز : ٢١٥/١.

(٣٤) ينظر: وأسرار التكرار في القرآن ،البرهان في توجيه متشابه القرآن: ١٢٥ ، والبحر المحيط : ٥/ ١٠١.

(٣٥) التحرير والتنوير : ٢٠/ ٢٤٤.

(٣٦) ينظر: مفاتيح الغيب : ٢٥/ ٥١ ، وينظر: أساس البلاغة : (غبر) ٤٤٨ .

(٣٧) ينظر: البحر المحيط : ١٠٢/٥. التحرير والتنوير : ١/ ٤٢٦ –٤٢٧.

(٣٨) يجدر بنا التنبيه على أن في النصين الكريمين تفننًا لفظيًا في التركيب أيضًا ، مثل ذكر لفظة في أحدهما دون الآخر أو تقديم أو تأخير فيهما مثلًا: في سورة البقرة :(حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وفي الأعراف: (حَيْثُ شِئْتُمْ). وفي البقرة : (وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ) بزيادة تركيبة (وقولوا حطة) عمّا في الأعراف. وزيادة الواو في سورة البقرة : (وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ) عما في الأعراف أيضًا .وستأتي دراسة مثل هذه التفنّن في الفقرة الثانية من هذا المطلب .

(٣٩) ينظر: البحر المحيط : ٢٠١/٥.

(٤٠) ينظر: مفاتيح الغيب : ٣/ ٥٢٦.

(٤١) ينظر: مفاتيح الغيب : ٣/ ٥٢٦.

(٤٢) التحرير والتنوير : ٩/ ١٤٤.

(٤٣) ينظر: مفاتيح الغيب : ٣/ ٤٥٣ ،و التعبير القرآنيّ: ٣١٣.

(٤٤) ينظر: مفاتيح الغيب : ٣/ ٥٢٦ ، و ١٥ / ٣٨٩ ، والبحر المحيط : ١/ ٣٥٧.

(٤٥) الكشاف : ١٤٣.

(٤٦) ينظر: مفاتيح الغيب : ١٥ / ٣٩٠ .

(٤٧) مفاتيح الغيب : ٣/ ٥٢٧ ، و ينظر: ١٥ / ٣٨٩ .

(٤٨) جاءت قصة سجود الملائكة لآدم في غير هذه السور المختارة ، وما يميز هذه السورة أن العلّة من عدم السجود وذكر الامتناع في آية واحد ، أما ما ورد في سورة الأعراف الآية (١١-١٣) وسورة الحجر من الآيات (٢٧ – ٣١) ففيهن ذكر لعدم سجود إبليس ذكر العلّة لهذا الامتناع في أكثر من آية ؛ لذا استثنيتها من البحث فالبحث خصصته لدراسة الجملة التي جاء فيها علّة لامتناع ابليس من السجود .

(٤٩) تفسير الراغب : ١٥٠.

(٥٠) البحر المحيط : ٩/ ١٧٧٤.

(٥١) ينظر: لطائف الإشارات، تفسير القشيري: ١/ ٧٩ ، والنكت في القرآن الكريم :١٣٧ .

(٥٢) ينظر :روح البيان للخلوتي : ١٠٤/١ .

(٥٣) التبيان في إعراب القرآن: ١/ ٥١ ،و ينظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه : : ١/ ١٠٢ – ١٠٣.

(٥٤) ينظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : ١٤٠/١ ، وأسرار التكرار في القرآن ،البرهان في توجيه متشابه القرآن: ٧٠.

(٥٥) ينظر: مفاتيح الغيب : ٢١ / ٣٦٦ .

(٥٦) ينظر: خصائص التعبير القرآنيّ وسماته البلاغية : ١/ ٣٤٨، ٣٥٣.

(٥٧) ينظر: نظرية الخطاب ، مقاربة تأسيسية : ٧٤ .

(٥٨) الكشاف : ٦٢٢ .

(٥٩) ينظر: أساس البلاغة : (فسق) : ٤٧٧ ، والكشاف : ٦٢٢ .

(٦٠) ينظر: خصائص التعبير القرآنيّ وسماته البلاغية : ١/ ٣٥٠ .

(٦١) تفسير الراغب : ١/ ١٥١.

(٦٢) ينظر: الكشاف : ٦٦٨ .

(٦٣) ينظر: نظرية الخطاب ، مقاربة تأسيسية : ٧٤ .

(٦٤) الإتقان في علوم القرآن : ٣/ ٢٣٢ .

(٦٥) وفيهما تفنن لفظي في لفظتي (ولد) و(غلام) وهذا التفنّن هو جاء مناسبًا لسياق السورتين ففي سورة آل عمران جاءت لفظة (ولد) لتقدم التصريح بـ(عيسى) وفي سورة مريم ذكر (غلام) لتقدّم التصريح بلفظة غلام في الآية التي قبل هذا الموضع ،وهو وقوله : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾ مريم: ١٩، ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ١/ ١٦٢ ، وأسرار التكرار في القرآن :٨٩ ، وكشف المعاني في متشابه المثاني : ١٤٠.

(٦٦) ينظر: نظرية الخطاب ، مقاربة تأسيسية : ٧٠ ، منهج السياق في فهم النص :٣٠.

(٦٧) ينظر: مفاتيح الغيب : ٢١ / ٥٢٣ ، وتفسير الراغب :٢/ ٥٦٩، البحر المحيط : ٣/ ١٥٧ .

(٦٨) البحر المحيط : ٣/ ١٥٨ .

(٦٩) التحرير والتنوير : ٣/ ٢٤٨.

(٧٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ١/ ٤٣٧ .

(٧١) ينظر: تفسير الراغب :٢/ ٥٦٩ ، والتحرير والتنوير : ٣/ ٢٤٨.

(٧٢) ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها : ١٦١-١٦٢ ، وقد عدّ الدكتور فاضل السامرائي القول بأنّ الجملة الفعلية تدلّ على التجدد والجملة الاسمية تدل على الثبوت من باب التجوز،وإنّما ينسب هذا للفعل وللاسم .

(٧٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢/ ٨٦٩ ، و مفاتيح الغيب : ٢١/ ٥٢٤ .

(٧٤) ينظر: مفاتيح الغيب : ٢٦/٤ ، ولطائف الإشارات : ٢/ ٤٢٩ .

(٧٥) ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها : ١٦١-١٦٢.

(٧٦) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢/ ٨٦٩ ، والتحرير والتنوير : ١٠ /٢٠ .